

## ثقافة

الياس خوري

الحلم ...

الذي لا يخون

تضيء هذه المفاميل الكتاب النثري الجديد الذي حاول فيه درويش التقاط الدائسة الكاملة التي رسمتها الحرب في الوجدان العربي ، منطلقا من الحب لينتهي فيه ، حاضنا اللحظة الساخنة ، دون الغرق فيها ، فالشعر ليس انخطانا انه رؤيا . والكتابة تأتي لتعيد صياغة الحدث ، ضمن مواقع التحول والتغير . هكذا تتمايز التجربة الفنية عند محمود درويش في قدرتها على استيعاب الحلم داخل التحولات الواقعية ، دون التخلي عن الحلم او الغرق في التفاصيل المباشرة للممارسة .

## المصوت الواحد

في القسم الاول من الكتاب — حصان يحسب غزالة — يضع محمود درويش القاعدة التي ينطلق منها . واذا كانت « وطن يتلم رصاصة » تحاول ملاسة البناء القصصي المركب من الخارج . فانها تصب في آخر المطاف ، داخل الصوت الواحد الممتلئ صراخا وجروحا . الاقتراب من الاصوات المتعددة ليس سوى الاطار الذي سوف ترتفع داخله التأملات المتوترة . هنا حيث فلسطين تعني الشروع في الغربة والموت . وحين تبدأ المسيرة يتحدد شكل الوطن « وكان الوطن كقدم طفل ، محبوسا في حذاء حديدي . وكان سرحان لا يعرف اكثر من ذلك . هذا يكفي — كان يقول . لان الاعتراف بما هو ابعد يفيد المحققين ويوسع العبارة » . هنا تبدأ رحلة خروج الوطن من الزنزانة . وكتمهيد لهذه الرحلة، يقيم درويش خطأ من التوازنات التي تمسك بهذه اللحظة في نقطة ارتكازها . فتصبح اللغة الشعرية هادئة ، ويتمدد المنطق الداخلي للتركيب المعقلن . لذلك يأتي التقلع الشعري داخل رؤية متكاملة تمهد للشعر دون أن تصبح شعرا :

في احدث كتاباته التأملية : « فك الارتباط مع الحلم » ( مواقف — ٢٨ — ) يؤشر محمود درويش الى مفاميل تجربته الفنية .

**الغربة الواقعية** ، التي لا تجد الانتباء الحقيقي الا لحظة الطلق ، حين يبدأ نزيف الدماء الذي يغطي وجه الارض . هنا يصبح العرس الحقيقي كل شيء ، ويتحول الانتباء الى توجع حلولي يارض الوطن . ولحظة الطلق هي النقطة الفاصلة بين حالتين : اليأس والتحفز . وبين هاتين الحالتين ، تشخذ الكتابة للحظة ، تسنن المواقف ولا تستسلم ، تسأل نفسها عن الحلم ، لذلك تأتي نبرتها الفاجعة لتنتقل وتوتر العلاقة « ليس له وطن خارج هذا الوطن . ولكن ليس له وطن داخل هذا الوطن » .

**فلسطين المستقبل** ، التي تتحول الى رؤيا كاملة . انها رمز تتجمع داخله كل التناقضات . « على هذا المقترق ، يثمر كل عربي على فلسطينه الخاصة . ويدرك ان فلسطين ليست نقطة على خارطة . انها رؤيا كل عربي ، وصليب كل عربي . وانها امتحان ومستقبل » .

**الحلم** الذي يوحد فلسطين بالغربة ، ويقيم مقاييس جديدة ، تتجاوز اللحظة الراهنة ، لتستكشف مستقبلا . لذلك يصبح الانتباء الى الحلم ، انتباء الى المستقبل . ولا يتساقط الحلم ، بل يستط الذين يعشون به . « ولا تفك الارتباط مع الحلم » .

محمود درويش : وداعا ايها الحرب وداعا ايها السلام .

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .  
الطبعة الاولى — ايار — ١٩٧٤ .